

الفواصل القرآنية: دراسة صوتية

گل محمد باسل

المدخل:

لا شك أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته والمؤنس بقراءته، وهو المعجزة الخالدة التي تحدى بها العرب، وهم أرباب الفصاحة والبيان، ولا يزال هذا التحدي به قائماً إلى يوم القيامة. ومن هذه المظاهر في إعجاز القرآن الكريم ما تتجلى في سوره وآياته وكلماته، كما تتجلى أيضاً في أصواته عامة، وفواصل آياته على وجه الخصوص، وأن المتأمل في هذه الفواصل في الآيات القرآنية يجد لها دوراً واضحاً في الإعجاز وتحقق في نظامه الصوتي البديع، وجرس حروفه حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغنائها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل القلوب من حبها، والأذن من سماعها، والألسنة من ترديدها.

كما قال الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه خصائص التركيب: "والذي نعتقد أن القرآن حين يراعي الفاصلة ويبقى على تنعيمها، إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيباً يتهدج فيه صوته ويواجه مع ألحانها ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار، وهذه اللغة التي نزل بها القرآن لغة دندنة وترنم أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها"^(١).

ولا شك ثانياً أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، واللغة عامة في جوهرها عبارة عن أصوات أو مقاطع صوتية، فالأصوات هي المادة الأساس المكوّنة للغة، كما قال ابن جني: "هي عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(٢)، وهذه الأصوات تكون متناسبة مع تلك المعاني، وكيف استطاعت

١- انظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، ١٤٠ شارع

الجمهورية عابدين، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٣٥٩.

٢- انظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، ٣٣/١.

أصوات تلك الفواصل القرآنية التعبير بمخارجها وصفاتها وما فيها من الحروف الشديدة القوية أو الأصوات الرقيقة الندية عن تلك المعاني التي تدل عليها الآيات والسور في القرآن الكريم! كما يبدأ تأليف اللغة من هذه الوحدة الصغرى "الصوت" أو "الفونيم" الذي يقابل في الدراسات التراثية العربية مصطلح "الحرف"، وتعرض لدراسة هذا الصوت القدماء والمحدثون عامة، ودراسته في القرآن الكريم على وجه الخصوص، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أوضح أهل العلم المتقدمون أهمية الفاصلة القرآنية، وبيّنوا مكانتها في النظم القرآني، وجعلوها من أهم أساليب القرآن المعجزة، وحليته الجميلة وزينته الرائقة، وذلك بدءاً بالرماني ومروراً بالزمخشري، وابن أبي الأصبغ ثم الرافعي، ودراز، وسيد قطب، وابن عاشور، وغيرهم، ثم ضرب المتأخرون بسهم أوفر في هذا الباب، مثل الأديب الإسلامي الرافعي وغيره، وتناولوا الجوانب المتعلقة بإعجاز القرآن ومطابقة الفواصل للمعاني، وعلاقة الآية اللاحقة بالسابقة...

وجاء هذا البحث للتركيز على الجوانب الصوتية في الفواصل القرآنية، لأن الفواصل هي صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الأصوات، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجبياً يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم. ويدرس البحث الأصوات التي تنتهي بها الفواصل دراسة إحصائية من حيث الكمّ أولاً وذلك عبر الجداول لتلك الأصوات الواردة في الفواصل القرآنية، ثم تصنيفها حسب مخارجها وصفاتها، ومعرفة مدى ارتباطها بمعاني الآيات، وما تدل عليه، وإبراز ما تتعرض لها من التغييرات من الحذف والإبدال والتكرار. وهذه الدراسة تكون منحصرة في دراسة أصوات الفواصل الرئيسية (القطعية)، وفي الحلقة القادمة سيدرس أصوات الفواصل الثانوية (الفوققطعية) أو الظواهر الصوتية إن شاء الله.

الفاصلة لغة:

مأخوذة من مادة "فَصَلَ"، في اللغة العربية لها أصل واحد، وجمعها "فواصل"، تلتقي على هذه المادة استخدامات مختلفة، مثل: البون ما بين الشيين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين الشيين، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصلّ النظم، وعقد مفصل، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، ومثله: الفصل: القضاء بين الحق والباطل^(٣).

٣- انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مادة "فصل"، ١١/١٨٨-١٨٩. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، انتشارات ناصر خسرو، طهران، إيران، الطبعة الثانية، مادة "فصل"، ٢/٦٩١، والمنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، مادة "فصل"، ص ٥٨٥.

ومنها: التفصيل: التبيين، ومنها: الفصل واحد الفُصول: أي القُطع، وفي علم العروض: ثلاثة أحرف متحركة يليها حرف ساكن، مثل: كَتَبْتُ، وهي الصغرى، وأربعة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل: سَمِعْتُهُمْ، وهي الكبرى، والفاصلة في علامات الترقيم في الكتابة العلامة التي تُوضع بين الجمل التي يتركب منها كلامٌ تام الفائدة. إذن استخدمت "الفاصلة" اصطلاحاً في عدد من علوم العربية: في النحو وفي العروض وفي علامات الترقيم.

الفاصلة اصطلاحاً:

لقد تعددت تعريفات العلماء للفاصلة، وسأقتصر على تعريفين: تعريف للأقدمين، وتعريف للمحدثين. قال الإمام الرماني: "إن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني"، وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) في هذا التعريف في كتابه إعجاز القرآن (٤).

وقد أطلقوا على أواخر آي القرآن "فواصل" أخذاً من قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصَّلَاتٍ لِّقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، وابتعاداً عن أن تسمى أسجاعاً. وقد دار خلاف بين العلماء: أيجوز أن يقال: إن في القرآن سجعا؟ فمنعه بعضهم، منهم الإمام الرماني المعتزلي، والقاضي الباقلاني رحمهما الله. قال الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، تحت عنوان "فصل في نفي السجع من القرآن الكريم": وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. وكيف والسجع مما كان يألفه الكهّان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوه وكلموه في شأن الجنين: كيف ندي من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطلّ؟ فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية؟ وفي بعضها أسجعا كسجع الكهّان؟ فرأى ذلك مذموما لم يصح أن يكون في دلالته "٦".

٤- انظر: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب

العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م، ١ / ٥٤ نقلاً عن الإمام الرماني.

٥- سورة فصلت، الآية: ٣.

٦- انظر: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر،

دار المعارف، القاهرة، ١ / ٥٧.

وأجازه الأكثرون، منهم الدكتور السيد محمد الحكيم في كتابه إعجاز القرآن، والدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه النبأ العظيم، والدكتورة عائشة عبد الرحمن بن الشاطي في كتابها الإعجاز البياني للقرآن وغيرهم، وناقشوا تحت عنوان "هل وقع السجع في القرآن الكريم؟"، وذلك بالردود على المانعين وأدلتهم^(٧). لا ندخل في التفاصيل في هذا الموقع لأنه ليس موضوعاً لهذا البحث، وأما تعريفات القدماء والمحدثين للفاصلة فلا تخرج عن هذين التعريفين.

خلاصة قولهم: الفاصلة في الاصطلاح عبارة عن الكلمة التي تنتهي عندها الآية أو هي آخر كلمة في الآية، ويرادفها رأس الآية، وسميت بذلك لفصلها بين الآية وبين ما بعدها^(٨). وهي لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكن الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة.

فواصل القرآن الكريم

الفاصلة إذن في القرآن الكريم هي آخر كلمة في الآية، كالفافية في الشعر، وقرينة السجع في الشعر، خلافاً لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤ هـ) في كتابه البيان الذي اعتبرها كلمة آخر الجملة^(٩)، إذ قد تشمل الآية الواحدة على عدة جمل، وليست كلمة آخر الجملة فاصلة لها، بل الفاصلة آخر كلمة في الآية، ليعرف بعدها بدء الآية الجديدة بتام الآية السابقة لها.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.

٧- انظر تفصيل آراء المانعين والمثبتين وأدلتهم لوقوع السجع في القرآن الكريم في كل من: النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، الإعجاز في نظم القرآن للدكتور محمود السيد شيخون، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، والبيان في روائع القرآن للدكتور تمام حسان، وذكر كل ذلك مفصلاً: السيد محمد الحكيم، إعجاز القرآن، مطبعة دار التأليف، ٨ شارع يعقوب بالمالية، دون تاريخ، ص ١٠٥ - ١١٥.

٨- انظر تفصيل تعريف الفواصل في كل من: الإمام محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ٣٣٦ و ٥٢٨. وأبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر العربي، بيروت، ٣/ ٣٦٠. محمد بن الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ٣/ ٢٣٠.

٩- انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٥٣.

وقد تكون هذه التسمية اقتباساً من قوله تعالى: ﴿الرَّكَنتُ أَخْكَمَتْ ءَابْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (١٠)، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح (١١).

وما ورد في القرآن متناسق حروف الروي والإيقاع، موحد خاتمة الفاصلة بالصوت، ويقف فيه بالآية على الحرف الذي وقف عنده في الآية التي قبلها، فلا يسمى سجعاً عند علماء الصناعة "ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر" (١٢).

إذن لم يسموها أسجاعاً، ولم يصطلحوا عليها قوافي، إذ استبعدوا تسميتها بالقوافي تكريماً للقرآن بأن يقاس على منظوم كلام البشر، وستأتي معالجة هذا الرأي فيما بعد، إن شاء الله، وأما تجنب تسميتها سجعاً "فلأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس" (١٣).

والمدرک الأول يساعد عليه مقتضى تفسير اللغة، وأصول إرجاع المصطلحات إلى قواعدها الأولى، قال ابن دريد (ت: ٣٢١ هـ): "سجعت الحمامة معناها: رددت صوتها" (١٤). والمدرک الثاني يساعد عليه الاعتبار العام، وتبادر الذهن في الفهم، فقد شاع السجع بين العرب في الجاهلية، واقتسمه كل من الخطباء والكهان والمنتبين، وتوازن استعماله متفرقاً بين أصناف من الناس. يبدو مما سلف أن مما تواضع عليه جهابذة الفن، وأئمة علوم القرآن، يضاف إليهما علماء اللغة، هو: أن نهاية بيت الشعر تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعاً في الأسجاع، ونهاية الآية تسمى فاصلة. وهذا التفريق الدقيق قائم على أساس يجب أن نتخذة أصلاً وبرنامجاً ينبغي القول به دون سواه، وهو أن الكلام العربي، مطلقاً، على ثلاثة أنواع:

- ١٠- سورة هود، الآية: ١.
- ١١- انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م: ٢٩٢/٣. والباقلاني، إعجاز القرآن، ١/ ٥٧.
- ١٢- انظر: نفس المصدر: ٢٩٣/٣.
- ١٣- انظر: الزركشي، البرهان: ١/ ٥٤.
- ١٤- انظر: السيوطي، الإتيقان: ٢٩٣/٣.

قرآن، ونثر، وشعر، فليس القرآن نثراً وإن استعمل جميع أساليب النثر عند العرب، وليس القرآن شعراً وإن اشتمل على جميع بحور الشعر العربي حتى ما تداركه الأخصف على الخليل فسمي متداركاً، وهو الخبب، بل هو قرآن وكفى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١٥﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (١٥).
قال الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ): "وقد سمي الله كتابه المنزل قرآناً، وهذا الاسم لم يكن حتى كان" (١٦).

وإذا تم هذا فهو كلام الله تعالى وحده، وأنى يقاس كلام البشر بكلام الله، هو إذن مميز حتى في التسمية عن كلام العرب تشریفاً له، واعتداداً به، وإن وافق صور الكلام العربي، وجرى على سننه في جملة من الأبعاد، كما يقال عند البعض، أو كما يتوهم، بأن ختام فواصله المتوافقة هي من السجع، فالتحقيق يقتضي الفصل بين الأمرين، لأن مجيء كثير من الآيات على صورة السجع لا يوجب كونها هو، أو أنها منه "لأنه قد يكون الكلام على مقال السجع وإن لم يكن سجعاً، لأن السجع من الكلام، يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك مما هو في معنى السجع من القرآن، لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى، وفرق بين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ، وبين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع مستجلباً لتحسن الكلام دون تصحيح المعنى" (١٧).

كما ناقش الشيخ الجرجاني هذا الموضوع، وخلاصة ما قاله: إن السجع يأتي للمعنى في الغالب وليس للفظ فقط، واستدل بحديث النبي الشريف حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" فأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظاً اجتلب من أجل السجع، وترك له ما هو أحق بالمعنى منه وأبر به" (١٨).

وقد رأينا عند تعقب هذه الظاهرة: أن التعبير المسجوع في القرآن لا تفرضه طبيعة النسق القرآني فحسب، كما يخيل للكثيرين عند النظر في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١٩﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (١٩)،

١٥- سورة الواقعة، الآية: ٧٧-٧٨.

١٦- انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، دون التاريخ: ٣٤٨/١.

١٧- انظر: الزركشي، البرهان: ٥٦/١.

١٨- انظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، من منشورات الرضي،

دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ، ص ٩-١٠.

١٩- سورة التكاثر، الآية: ١-٢.

بدليل أنه ينتقل منه فوراً إلى نسق آخر في فاصلة تقف عند النون دون التفات إلى الصيغة الأولى الساربة في طريقها البياني ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٠)، فإذا جاز للقرآن الانتقال بها، جاز له الانتقال فيما قبلها كما هو ظاهر، بل أن هذا اللفظ "المقابر" يفرض نفسه فرضاً بيانياً قاطعاً، دون حاجة إلى النظر في الفاصلة معه، أو مع محسنات الفاصلة، وذلك أن هذا الإنسان المتناسي الطاغبي المتكاثر بأمواله، ولذاته وشهوته، ومدخراته، ونسائه وأولاده، ودوره وقصوره، وخدمه، وحشمه، وإداراته، وشؤونه، وسلطانه، وعنوانه، وهذا كله تكاثر قد يصحبه التفاخر والتنازع والتنافر، أقول: إن هذا مما يناسبه لفظ "المقابر" بلاغياً ولغوياً، فالمقابر جمع مقبرة، والمقبرة الواحدة مرعبة هائلة، فإذا ضممتا مقبرة مترامية الأطراف إلى مقبرة مثلها، ومقبرة أخرى، ازددنا إجحاشاً وربحاً وفزعاً، فإذا أصبحت مقابر عديدة؛ تضاعف الرعب والرهب، إذن هذا التكاثر الشهواني في كل شيء، يوافقه، بدقة متناهية، الجمع المليوني للقبور، لتصبح مقابر لا قبوراً، ولو قيل في غير القرآن بمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سدّ هذا الشاغر الدلالي شيء آخر من الألفاظ، فهو لها فحسب (٢١).

إذن ليست هذه الصيغة البلاغية في استعمال المقابر مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر، وقد يحسّ أهل هذه الصنعة، ونحن معهم فيها، نسق الإيقاع وانسجام النغم، ولكن ليس هذا كل شيء (٢٢). ولا يعني هذا تغافلاً عن مهمة الانسجام الصوتي، والوقع الموسيقي في ترتيب الفواصل القرآنية، فهي مرادة في حد ذاتها إيقاعياً، ولكن يضاف إليها غيرها من الأغراض الفنية، والتأكيدات البيانية، مما هو مرغوب فيه عند علماء اللغة، وقد لا يضاف إليها شيء في تحليل أئمة العلم كالإسكافي والكرماني والغرناطي اكتفاءً بها في التوجيه، ومما يضاف قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٢٣﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (٢٣)، فقد تقدم المفعول به في الآيتين، وهو اليتيم في الأولى، والسائل في الثانية، وحقه التأخير في صناعة الإعراب، وقد جاء ذلك مراعاة لنسق الفاصلة من جهة، وإلى الاختصاص من جهة أخرى، للعناية في الأمر.

٢٠- سورة التكاثر، الآية: ٣-٤.

٢١- انظر: محمد حسن علي الصغر، تطور البحث الدلالي، دار المؤرخ العربي، موسوعة الدراسات القرآنية، ١٩٩٩م، ص ٧٠ بتصرف.

٢٢- انظر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ٢٠٧/١ بتصرف.

٢٣- سورة الضحى، الآية: ٩-١٠.

والفاصلة القرآنية عنصر أساس من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتما التوافق الصوتي في آن واحد. ومما لا شك فيه أن من أهم مقاصد الفواصل القرآنية أن تؤدي دورها في قوة التركيب وتمام المعنى ووضوحه ثم أن تكون شجية النغم، حلوة الجرس، عذبة الرنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها، ليتم لها الحسن من جميع جهاته، ومن هنا كانت تلاوة القرآن؛ لأن الأداء الدقيق الجميل يستطيع أن يبرز هذا الانسجام الساري في الفواصل على أكمل صورة أريدت له، وإذا كانت الفاصلة القرآنية يتم بها النغم في الآية، أو العبارة القرآنية فإنه يتم بها أيضًا إكمال معنى الآية، فليس النغم الصوتي هو الذي يحكم هذه الفاصلة أو تلك، إذ لا يصح للنغم أن يطغى على المعنى المراد في الآية فيعكس هذا المعنى أو يغيره؛ لأن علو الفواصل القرآنية وسموها في البلاغة كان بسبب أنها واقعة في موقعها، وأن المعاني هي المقصد الأول، والألفاظ بحسن أداؤها، ورنه أنغامها تابعة لذلك.

ولعل ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) كان مصيباً جداً حينما أرجع ذلك إلى الاختصاص ونظم الكلام، ولم يقل بأحدهما^(٢٤)، بينما عاد بها إبراهيم أنيس إلى مراعاة موسيقى الفاصلة القرآنية؛ إذ لا يصح للمفعول أن يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبتة...^(٢٥).

وقد رده الدكتور أحمد مطلوب في هذا الملحظ، لأن الهدف ليس القهر والنهر في المقام الأول، وإنما الرحمة باليتيم والسائل، ولذلك تقدم المفعولان على فعليهما، ولو كان القصد غير ذلك لتأخرا وجاءا على نسق الكلام المحفوظة رتبته^(٢٦).

إذن يخرج نظم اللغة العربية عن أصله في بعض المواضع، مراعاة للفواصل القرآنية، مثل تقديم المفعول كما مثل، وحذف المفعول به كما في الآية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^(٢٧) وهكذا في غيرها من الآيات. ومهما يكن من أمر، فإن السجع عند العرب مهمة لفظية تأتي لتناسق أو آخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها، فيكون الإتيان به ليس لسد الفراغ اللفظي فقط، إنما يأتي أحيانا اللفظ للمعنى وعلى وجه الخصوص إذا كان السجع غير متكلف، وأما مهمة الفاصلة القرآنية فليس كذلك، بل هي مهمة لفظية

٢٤- انظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، طبعة مصر، ١٨٦٥م، ٢/ ٣٩.

٢٥- انظر: إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص ٣١٢.

٢٦- انظر: أحمد مطلوب، بحوث لغوية، منشورات دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ٥٨.

٢٧- سورة الضحى، الآية: ٣.

معنوية بوقت واحد، إنها مهمة فنية خالصة، فلا تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني، ولا اشتطاط بالمعاني من أجل الألفاظ، لذلك ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغياً ودلالياً عن مستوى السجع فنياً، وإن وافقه صوتياً.

وهنا نشير إلى أن ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦ هـ) قد رد جزءاً من هذه المفاضلة بين السجع والفاصلة، وخلص إلى سبب التسمية في معرض نقاشه لعلي بن عيسى الرماني: "وأما قول الرماني إن السجع عيب، والفواصل على الإطلاق بلاغة فغلط، فإنه إن أراد بالسجع ما تتبع المعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله... وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب" (٢٨).

ويلحظ من النص، أنه يعيب ما ينافي البلاغة سواء أكان سجعاً أم سواه، ويشير إلى ناحيتين:
الأولى: أن الفواصل هي كل ما في أواخر الآيات تماثلت حروفه أو لم تتماثل خلافاً للسجع المتماثل الحروف.

الثانية: أن اختصاص أواخر الآيات بتسمية الفواصل إنما وقع لرغبتهم ألا يوصف كلام الله تعالى بالكلام المروي عن الكهنة لا مطلق السجع.

فواصل القرآن بين التوقيف والقياس صوتياً:

علينا أن نتبع الفواصل بكل دقة وانتباه، لأنها تنتقل في القرآن الكريم عبر مسيرتها الإيقاعية، وذلك بطرق مختلفة، وقد أدلى العلماء بأرائهم القيمة في هذا المجال، ومن أشهر الآراء رأيان:

الرأي الأول:

هو أن جميع فواصل القرآن قد ثبت تعيينه بالتوقيف، لا مجال للاجتهاد فيه. ومن الأدلة التي استدلت بها أصحاب الرأي الأول (٢٩):

عن عطاء بن يسار السلمي أنه قال: حدثني الذين كانوا يقرئونا القرآن، وهم عثمان بن عفان،

٢٨- انظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ١٦٦.

٢٩- انظر: محمد بن محمود الربيني، مرشد الخلان، نابلس، فلسطين، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٨-١٩، ومحمد عبد العظيم

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون التاريخ، ١/٣٣٩.

وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر من القرآن، فلا يجاوزونها إلى عشر آخر حتى يتعلموا ما فيها من العمل. فقالوا: تعلمنا القرآن والعمل جميعاً" (٣٠).

وأشبهه ذلك يقول الحافظ أبو عمرو الداني: "ألا ترى أنه غير ممكن ولا جائز أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه الذين شهدوه وسمعوا ذلك منه إلا قد علموا المقدار الذي أراه وقصده، وأشار إليه وعرفوا ابتداءه وأقصاه ومنتهاه، وذلك بإعلامه إياهم عند التلقين والتعليم برأس الآية وموضع الخمس ومنتهاى العشر، ولا سيما أن نزول القرآن عليه كان مفزقاً خمساً وخمساً وآية وآيتين وأكثر من ذلك، وكان يعلم أصحابه العشر فلا يجاوزونها إلى عشر آخر حتى يتعلموا ما فيها. فالصحابة أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوس الآي آية آية، وهذا يدل على أن هذا العلم توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٣١).

وثبوت العدد في بعض الآيات مع شدة تعلقها بها بعدها وعدم انقطاع الكلام عندها، ولو كان العدد يعتمد الرأي والاجتهاد لما عدت هذه الآيات لشدة تعلقها بها بعدها.

مثال ذلك: عد قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَلَّذِي يَبْعَثُ بِالْعَلْقِ، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ بالنازعات، ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ بالنجم، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ بالليل، وعد جميع الآيات مع شدة تعلقها بها بعدها، فهذا دليل على ثبوت العدد بالتوقيف.

واعترض على هذا القول بوجود اختلاف بين العلماء في تعيين بعض فواصل الآيات، ولو كانت الفواصل كلها ثابتة بالتوقيف لما وجه خلاف، وهذا دليل أن بعض الفواصل دخله الاجتهاد، ولم يكن كله بالتوقيف، مثل اختلافهم في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فبعضهم عدّها آية وبعضهم لم يعدّها آية.

الرأي الثاني:

هو أن هذا العلم بعضه توقيفي، وبعضه اجتهادي. واختار هذا الرأي ابن عبد الكافي والداني وتبعه الشاطبي. وهذا الرأي أرجح على الأول بوجوه، منها: عدم ثبوت نص في جميع الجزئيات من الآيات، ومنها ورود الخلاف في العدد، وغير ذلك.

وتفصيل هذا الرأي:

أن تعيين رؤوس الآي (الفواصل) وتحديد عدد آيات السور، ينقسم من حيث التوقيف

٣٠- انظر: مرشد الخلان، ص ١٨ - ١٩، ومناهل العرفان في علوم القرآن، ١/ ٣٣٩.

٣١- نفس المصدر.

والاجتهاد إلى قسمين: القسم الأول: كان تعيينه توقيفياً وهو معظم الفواصل وعدد آيات السور. والقسم الثاني: كان تعيينه اجتهادياً قياسياً، وهو الأقل.

أولاً: ما كان تعيينه توقيفياً:

وهي الآيات التي كان عليه الصلاة والسلام يقف عليها دائماً ولم يصلها بما بعدها أبداً، فهذه معدودة اتفاقاً لا خلاف بين العلماء في ذلك. وكذلك المواضع التي وصلها الرسول عليه الصلاة والسلام دائماً ولم يقف عليها فهي متروكة من العد بالاتفاق.

ثانياً: ما كان تعيينه اجتهادياً:

وهي الآيات التي كان عليه الصلاة والسلام يقف عليها مرة ويصلها مرة أخرى، فاحتمل وقفه أن يكون تعريفاً للأمة بأن الكلمة التي وقف عندها هي رأس آية، واحتمل أنه وقف ليعرف الأمة الوقف التام، أو أنه وقف عليه الصلاة والسلام استراحة.

واحتمل وصله أن يكون تعريفاً منه للأمة بأن الكلمة ليست فاصلة، أو هي فاصلة وإنما وصلها لتقدم تعريفها. وبسبب هذا (أي بسبب وقفه عليه الصلاة والسلام على هذه الآيات تارة ووصله إياها تارة أخرى) عدها بعض الصحابة آية، ولم يعدها بعضهم كذلك.

"فنقل كل منهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما سمعه، وكما حافظوا على نقل حروف القرآن وألفاظه، حافظوا كذلك على عد آية، وعنهم أخذ التابعون لفظه وعدده، ثم نقله الخلف عن السلف ودوّنوا فيه كتباً نظماً ونثراً، ووضعوا فيه القواعد الكلية المستنبطة من أقوال السلف حتى وصل إلينا (٣٢).

وهذه القواعد الكلية التي استنبطوها هي التي تمثل الاجتهاد. بمعنى أنه نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم جزئيات ثابتة، فاستنبط العلماء من هذه الجزئيات قواعد كلية، طبقت عليها الجزئيات الأخرى غير الثابتة، والتي لم يرد فيها نص. وهذه هي كيفية الاجتهاد في هذا العلم، وهو اجتهاد لا محذور فيه إذ لا يترتب عليه زيادة في القرآن ولا نقص بل كل ما فيه تعيين وصل الآية وفصلها، وإلا فترتيب الآية تلو الآية توقيفي كما ذكرنا سابقاً. إننا نتحدث عن تحديد رأسها أي الكلمة التي تقف عندها هذه الآية.

قال إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢ هـ): "المعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي". أما

التوقيفي: فما ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم وقف عليه دائماً، تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً، تحققنا أنه ليس بفاصلة... وأما القياسي فهو ما ألحق من المتحمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسبة ومشابهة أو لعلة مشتركة بينهما، ولا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه، فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحد والإشباع والتوجيه فليس يعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة، والقرينة، وقافية الأرجوزة بخلاف قافية القصيدة" (٣٣).

ومن هنا كان التنقل في فواصل القرآن، إذ لا يلتزم فيها الوقوف عند حرف معين في مواضع من السور، ويلتزمه في مواضع أخرى، ويجمع بين الالتزام وعدمه في بعض السور، لأن الانتقال من الوقوف على حرف إلى الوقوف على حرف آخر، أو صيغة تعبيرية أخرى في فواصل القرآن، أمر مطرد وشائع، وناذجه هائلة، كما أن الالتزام شائع أيضاً، والجمع بينهما وارد كذلك، ومن هنا تبرز ثلاثة ملامح على سبيل المثال:

الأول: أحيانا تجد أن القرآن الكريم جمع بين الفاصلتين المختلفتين في الحرف والوزن، كما جمع بين "تحشرون" و "العقاب" وهما مختلفان في حرف الفاصلة والوزن في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنبَأَ اللَّهِ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ. وَأَنَّهُ إِلَهٌُ مُّحْشَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴿٣٥﴾ وَأَعْلَمُوا أَنبَأَ اللَّهِ شَكِيدُ الْعُقَابِ ﴿٣٤﴾. وفي السورة نفسها جمع بين "تعلمون" و "عظيم" (٣٥)، وهذا مطرد في القرآن بآلاف الأمثلة.

الثاني: وأحيانا آخر نلمح أن الفواصل جاءت مراعاة للإيقاع الصوتي ولهذا تجد الوقف عند حرف معين لا يتغير في الفاصلة كما في سور عدّة، وناذج متعددة، فمن أمثله عادة جملة من السور القصار، كالقدر، والعصر، والفيل، والليل، والكوثر، والاحلاص، والناس، وجملة من السور الوسطى كالأعلى والقمر، وفيها جميعاً مراعاة للمنهج الصوتي، والبعد الإيقاعي، ويتجلى النغم الصوتي المتميز بأهبي صورته، وأروع مظاهره في سورة القمر؛ إذ تحتتم فيها الفاصلة بصوت الراء مردداً بين طرف اللسان وأول اللهاة مما يلي الأسنان.

الثالث: تختلف أحيانا فواصل سورة واحدة حيث تجد أنها تقف عند حرف معين للفاصلة في بعض

٣٣- انظر: السيوطي، الإتقان، ٣/ ٢٩١.

٣٤- سورة الأنفال، الآيات: ٢٤- ٢٥.

٣٥- سورة الأنفال، الآيات: ٢٧- ٢٨.

الآيات، والانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة في بعضها الآخر، وأمثله متوافرة في جملة من سور القرآن، كالنبأ، والمرسلات، والنازعات، والتكوير، والانفطار، والمطففين، وانظر إلى قوله تعالى في سورة "عبس" وهي تواكب صوت الهاء في فواصل عدة آيات، ثم تنتقل إلى الرء الملحقه بالناء القصيرة بعدها في آيات آخر: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّيهِ ۝ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبِيهِ ۝ وَيَنِيهِ ۝ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرٌ ۝ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ ۝ تَرَهَقَهَا فَذُتَةٌ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝﴾ (٣٦).

وإن السبب في ذلك أن الإيقاع الصوتي المجرد ليس مراداً عند الأبعاد الأخرى في فواصل الآيات الأخرى، فقد يجتمع في الفاصلة الغرض الفني والديني بجانب الغرض الصوتي، فتؤدي الفاصلة غرضين في عمل مزدوج، فمن أبرز الصور الاجتماعية الهادفة في سورة البلد: آيات العقبة، وتفصيلات يوم القيامة، في تجاوز مظاهر الغل والقيود، ومراحل الفقر والجوع ليم تجاوز العقبة الحقيقية في القيامة، ولا يتم ذلك إلا بتجاوز عقبات الظلم الاجتماعي، وتخطي مخلفات العهد الجاهلي، واقتحام القيم التي عطلت الحياة الإنسانية عن مسيرتها في التحرر والانطلاق، وهي قيم قاتلة، وأعراف بالية نشأت عن الطغيان المستلط، والتفاوت الطبقي المقيت، فالرق ضارب بأطنابه، والاستئثار شكل مجاعة بشرية جماعية، والقطيعة في الأرحام أنهكت الأيتام، والغنى اللامشروع فجر سيلاً من الأوضار الاجتماعية تشكل رعيلاً سادراً من الأرامل والأيامى والمساكين، ممن ألصقهم الفقر بالتراب، أو لصقوا هم به من الفقر والضر والفاقة، فأحال ألوانهم كلونه، فهم يلتحفون التراب ويفترشونه، ولا يجدون غيره، حتى عادوا جزءاً منه، وعاد هو جزءاً من كيانه، فمن التراب وعلى التراب وإلى التراب (٣٧).

هذا المناخ المزري عقبات متراكمة، من فوقها عقبات متراكمة، وإزالة هذه العقبات تدريجياً هو الطريق إلى قفز تلك العقبة الكبرى وتجاوزها، في حياة قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَبْسَمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ وَسْكَينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝﴾ (٣٨).

ما هذا الإيقاع المجلجل؟ وما هذه النبرات الصوتية الرتيبة؟ وما هذا النسق المتوازن؟ (العقبة، رقبة، مسغبة، مقربة، متربة) أصداً صوتية متلاحقة، في زنة متقاربة، زاداها السكت رنة وتأثيراً ولطف

٣٦- سورة عبس، الآيات: ٣٤-٤٢.

٣٧- انظر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، ١/ ١٩٠.

٣٨- سورة البلد، الآيات: ١١-١٦.

تناغم، وسط شدة هائلة مرعبة، وخيفة من حدث نازل متوقع، فالاقترحام في مصاعبه ومكابدته، والعقبة في حراجتها والتوائها ومخاطرها، يتعانقان في موضع واحد، يوحى بالرهبة والفرع.

"والاقتحام هو أنسب الألفاظ للعقبة لما بينهما من تلاؤم في الشدة والمجاهدة واحتمال الصعب، والمناسبة بين اقتحام العقبة وبين خلق الإنسان في كبد، أوضح من أن يحتاج إلى بيان، والجمع بينهما في هذا السياق، يقدم لنا مثلاً رائعاً من النظم القرآني المعجز: فالإنسان المخلوق في كبد، أهل لأن يقتحم أشد المصاعب، ويمتاز أسمى المفاوز، على هدى ما تهيأ له من وسائل الإدراك والتمييز، وما فطر عليه من قدرة على الاحتمال والمكابدة" (٣٩).

قال الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) وهو يتحدث عن هذا السياق: "أنه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال الخير والبر، فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود، فكأنه قال: لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة والإطعام" (٤٠).

وإرادة التأنيب والتعنيف مع الخض والترجيع والتحييب، في صيغة النفي وتقريره، والاستفهام وتهويله، حافظ وأي حافظ على معالجة هذه المخاوف الاجتماعية السائدة، ودرء هذه المشاكل العالقة في المجتمعات المتخلفة: السغب، اليتيم، المسكنة، إنها آفات متطاوله تنخر في بنية الجسم الإنساني فتهدمه، واقتحامها بحزم يتركها وراء الإنسان مسافات مترامية، وذلك ما يهيئ السبيل إلى تجاوز العقبة المترتبة الوقوع، في كل معانيها البيانية: حقيقية كانت أو مجازية.

إن ورود هذه الآيات في نسق صوتي متجانس، وصيغة إصلاحية هادفة، يضيفي على الفاصلة القرآنية، جماها المعهود وحسها الإيقاعي الهادر، دون تطلع إلى تعبير مماثل أو مغاير، فهي تمتلك النفس، وتأخذ بالإحساس في نظام رتيب؛ فالحرية أولاً، والعطاء المغني ثانياً، بدءاً بالأرحام وعطفاً على الآخرين، وفيها أخذ بملحظ القرابة والرحم، وحث على تقديم ذوي القربى من المعوزين على الأبعد في فك القيود، وعتق الرقاب، والإطعام بإحسان (٤١).

٣٩- انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، ١/ ١٩٠.

٤٠- انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، دون التاريخ: ٥/ ٤٩٥.

٤١- انظر: نفس المصدر: ٥/ ٤٩٥.

أصوات الفواصل بين الكثرة والقلة:

استعمل القرآن في الفواصل حروفاً ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسمع حين الوقف عليها، والوقف على أواخر الآيات من سنن القراءة كما هو معلوم، ولذلك استعمل النون فاصلة في حوالي ٥١ في المائة من آياته، تلتها الميم بحوالي ١٢,٥ في المائة، وهما أهم حروف الترتم في العربية، ولعل الناظر في فواصل القرآن الكريم عامة يرى أن كثيراً منها قد بُني على هذين الحرفين، الأمر الذي أعطى للفواصل القرآنية ميزة التوافق الصوتي، ويتضح مما سبق مدى عطاء الفواصل القرآنية من التوافق الصوتي، لأن الإيقاع الصوتي من أبرز سمات نظم القرآن الكريم، وفي حين لم يستعمل الحاء فاصلة قط لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها.

وهذا إحصاء بالحروف المستعملة في الفواصل ونسب استعمال كل منها.

النسبة المئوية	عدد المرات	الحرف
٩٣,٥٠	٣١٨٢	النون
١٢,٤٢	٧٧٥	الميم
١١,٠٤	٦٩٠	الراء
٤,٨٢	٢٨٦	الذال
٣,٩٢	٢٤٥	الألف المقصورة
٣,٨٢	٢٣٩	الباء
٣,٣٩	٢١٢	اللام
٢,٧٦	١٧٣	الهاء
١,٣٩	٨٧	الياء
١,٠٥	٦٦	القاف
٠,٦٧	٤٢	ألف المد
٠,٦٧	٤٢	التاء
٠,٥٢	٣٣	العين
٠,٣٥	٢٢	الفاء
٠,٣٢	٢٠	الجيم

٠,٣٠	١٩	الطاء
٠,٢٧	١٨	الزاي
٠,٢٧	١٧	الهمزة
٠,٢٧	١٧	الظاء
٠,٢٢	١٤	السين
٠,١٩	١٢	الصاد
٠,١٤	٩	الكاف
٠,٩٦	٦	الواو
٠,٩٦	٦	الثاء
٠,٨٠	٥	الحاء
٠,٦٤	٤	الضاد
٠,٤٨	٣	الشين
٠,٣٢	٢	الذال
٠,١٦	١	الغين
×	×	الخاء

ملاحظات حول العد والإحصاء:

عددت تاء التأنيث التي يوقف عليها بالسكون هاء كما في "الحاقة والقارعة" لأن مبنى الفواصل على الوقف، وهي تصير بالوقف هاء لا تاء.

لم أعد حرف المد الناشئ عن الوقف على التنوين فاصلة لأنه ليس من بنية الكلمة، ولا يظهر إلا في حالة النصب، واحتسبت بدلاً منه الحرف السابق عليه، واعتضدت في ذلك بموقف العروضيين حين فعلوا ذلك في القوافي، فالقافية في قول شوقي:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

قافية بائية كما هو معلوم عند علماء العروض والقافية.

بعض النتائج المستخلصة من الجدول السابق:

أ: نلاحظ أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن، حيث جاء فاصلة بنسبة ٥١ في

المائة تقريباً، وهذه النتيجة تصديق لكلام سيبويه حيث قال: "إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن الكريم على أسهل موقف وأعذب مقطع" (٤٢)، وللكلام غيره ممن لاحظوا ذلك، وإذا علمنا أن مجمل استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله هو ٢٧٢٦٥، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون ١١,٦٧ في المائة وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى، أضف إلى ذلك أن التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور كالإسراء والكهف ومريم... هذا التنوين هو نون ساكنة أيضاً وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة، وبذا فإن النون والتنوين يفوزان بأكثر نصيب في الفواصل لما فيها من الغنة الجميلة في السمع، ويحق لنا بعد ذلك أن نقول إن عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد إليه في القرآن قصداً، وليس مجرد محسنات زخرفية.

ب: جاء حرف الميم تالياً للنون بنسبة ١٢,٣٨ في المائة، يليه الراء بنسبة ١١,٠٤ في المائة، والذال بنسبة ٤,٦٢ في المائة، والملاحظ أن الميم حرف شفوي، والراء والذال من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان مع الأسنان، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق، وهذا أمر ملاحظ في الفواصل، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالاً من الحروف الشفوية والأسنانية، ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي.

والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروفاً متقاربة المخارج نسبة وضوح سمعي، كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "وليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض" (٤٣).

إن المتتبع للفواصل القرآنية في القرآن الكريم عامة وجزء "عم" على وجه الخصوص ليراها بوجه عام قد جاءت على حرف واحد في السورة الواحدة، يتكرر ويتردد مع كل آية كما هو حال صوت "الألف" في سورتي: الليل والأعلى، وهما في السور المتوسطة في طولها، وكذلك صوت "اللام" في سورة الفيل، وصوت "الراء" في سورة الكوثر، وصوت "الذال" في سورة الإخلاص، وصوت "السين" في سورة الناس.

٤٢- انظر: كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٤/١٨٥.

٤٣- انظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى،

١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٠١.

أما إذا لم يتكرر الحرف نفسه في آيات السورة الواحدة، فقد تكرر ما يشبهه من الناحية الصوتية، ومثال ذلك التقارب بين أصوات النون والميم والذال والألف الواردة في سورة النبأ، وذلك لاتفاقها جميعاً في صفة الجهر، وكذلك صوتي الألف والهاء اللذين ينتظان في فواصل سورتي النازعات وعبس في معظم آياتها، وذلك للتقارب بينهما في المخرج والصفة، ثم صوتي النون والميم من سور: الماعون، والتين، والمطففين، وغيرها للتقارب بينهما في المخرج والصفة، وقد يدغمان لأن صوتهما واحد وهما مجهوران، حتى إننا لنكاد نسمع "النون" كالميم، و"الميم" كالنون(٤٤).

الظواهر الصوتية في فواصل الآيات القرآنية:

الملحظ الصوتي في فواصل الآيات القرآنية قائم على عدة ظواهر، نرصد منها أربع ظواهر: الأولى: إن القرآن الكريم يحرص على الإيقاع الصوتي واللفظي وذلك بحذف حرف ما رعاية للبعد الصوتي، وعناية بالنسق القرآني ومراعاة للفواصل القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَيَالِ لَيْلِ عَشْرِ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ (٤٥). فقد حذف "الياء" من الفعل المضارع غير المجزوم، أي: لم يسبقه جازم، مثل: "يسري" مراعاة لموسيقى الفواصل القرآنية فيما يبدو، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝٦﴾ (٤٦). فالياء من "أكرمن" و"أهانن" قد حذفت رعاية لهذا الملحظ الصوتي، ولما في النون من الغنة عند الوقوف عليها فيما يبدو، ويظهر أن هذا الأمر مطرد في جملة من آيات القرآن الكريم في الفواصل التي تنتهي بياء المتكلم، كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ دِينٍ وَكِيلٌ ۝٤٧﴾ (٤٧). هكذا في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿فَأَنقُضْنَا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ ۝٤٨﴾ (٤٨). وهناك بعض التغييرات الأخرى لنفس الغرض، غيرها القرآن الكريم من بنية الكلمة لأجل الإيقاع الصوتي كما في ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٤٩﴾ (٤٩) وهو نفسه طور سيناء المذكور في سورة المؤمنون، لكن فواصل السورة كلها نونية فغير بنية الكلمة لتتوافق الفواصل، ومثله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝٥٠﴾ (٥٠) وأصله دسَّها،

٤٤- انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٩م، ص ٧٠.

٤٥- سورة الفجر، الآيات: ١ - ٤.

٤٦- سورة الفجر، الآيات: ١٥ - ١٦.

٤٧- سورة الكافرون، الآية: ٦.

٤٨- سورة آل عمران، الآية: ٥١.

٤٩- سورة التين، الآية: ٢.

٥٠- سورة الشمس، الآية: ١٠.

ولكنه لا يتوافق مع فواصل السورة إلا بالصيغة المذكورة، وكل ذلك يؤكد حرص القرآن على إيقاع الألفاظ الذي جُبل الناس على حبه، هذا مع الحرص على جانب الدلالة أيضاً.

وقد ذكر بعض العلماء أن نظم اللغة القرآنية قد خرج عن أصله في بعض المواضع مراعاة للفواصل القرآنية، ومن أمثلته الواردة في جزء "عم" فقط حذف المفعول وفقاً مراعاة لفواصل الآيات كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^(٥١)، التقدير: وما قلاك، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾^(٥٢)، أي: فأواك، وهداك، وأغناك، وقوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكُمْ يُسْأَلُونَ عَنْ نِعْمَتِ رَبِّهِمْ إِذْ ذُكِرُوا بِاللَّذِينَ لَمْ يَرْزُقُوهُمْ إِلَّا بِمَا عَلَّمَهُمْ وَأَن تَتَّخِذُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَعْيُنًا عَدُوًّا لَّكَ يَحْسَبُونَ آلَ إِبْرَاهِيمَ أَحْسَبًا﴾^(٥٣)، تقديره: يخسرونهم الموزون، أو المكيل، فحذف المفعولين اللذين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، حيث حذف الثاني من الفعلين "كال" و"وزن"، وحذف المفعولين معاً من الفعل: "يخسرون"^(٥٤).

ويعد حذف المفعول في مثل هذه المواضع مخالفاً للقواعد النحوية التي وضعها النحاة، وسبب هذه المخالفة عائد إلى مجيء هذه المفاعيل في أواخر الآيات القرآنية، وما تطلبه هذه الفواصل من موسيقى، تنتظم هذه كما انتظمت الآيات السابقة لها أو اللاحقة لها^(٥٥).

وقد ورد حذف العائد مع "ما" الموصولة في كثير من الآيات القرآنية مراعاة للنظم وتمشياً مع موسيقى الفواصل في الآيات السابقة لها واللاحقة لها، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٥٦)، والتقدير: ما تعبدونه.

الثانية: وللغرض نفسه يزيد القرآن الكريم حرفاً ما في الفاصلة عناية بالبعد الصوتي، وعناية بنسق البيان في سر اعتداله، ليؤثر في النفس تأثيره الحساس، فتشرب الأعناق، وتتطلع الأفئدة حين يتواصل النغم بالنغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع، وأبرز مظاهر هذه الظاهرة ما سباه علماء الأصوات بألف الاطلاق إن صح التعبير بالنسبة للقرآن، فقد ألحقت الألف في جملة من الآيات بأواخر بعض كلماتها، وكان حقها الفتح مطلقاً، دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفاً، وانظر معي في سورة واحدة، إلى كل من قوله

٥١- سورة الضحى، الآية: ٣.

٥٢- سورة الضحى، الآيات: ٦ - ٨.

٥٣- سورة المطففين، الآية: ٣.

٥٤- انظر: إعراب القرآن المنسوب للزجاج، القسم الثاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، عام الطبع ١٩٦٣م و١٩٨٠م، ص ٤٣٧، ٤٥٦.

٥٥- انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة السعودية، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ١٥٣.

٥٦- سورة الكافرون، الآية: ٢.

تعالى، وكأن ذلك معني بحد ذاته ومقصود إليه لا ريب: وقال تعالى: ﴿وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (٥٧). وأصلها الظنون بدون ألف لأنها معرفة بالألف واللام، ولكن فواصل السورة أكثرها تنتهي بحرف مد، فوافقتها، وهكذا في الآيات التالية: وقال تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٥٨). وقال تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾ (٥٩). يبدو أن إلحاق هذه الألف في "الظنون" و"السبيل" و"الرسول" يشكل تلقائياً ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل، وإلا فما يضير الفتح لولا الملحظ الصوتي "لأن فواصل هذه السورة منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل" (٦٠).

ومثل ذلك فيما ورد بسورة القارعة في زيادة هاء السكت وإلحاقها في "هي" لتوافق الفاصلة الأولى الثانية في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (٦١)، وذلك لتوافق الهاء إيقاعياً مع التاء المربوطة التي تصير هاءً بالوقف.

كما ورد في سورة الحاقة للغرض نفسه وانظر إلى هاء "السكت" في إضافتها وإنارتها في جملة من آياتها، فتقف خاشعاً مبهوراً، تتملك هزة من الأعماق وأنت مأخوذ بهذا الوضع الموسيقي الحزين، المنبعث من أقصى الصدر وأواخر الحلق، فتقطع الأنفاس، وتتهدج العواطف، واجمة، متفكرة، متطلعة، فتصافح المناخ النفسي المتفائل حيناً، والمتشائم حيناً آخر، وأنت فيما بينهما بحالة متأرجحة بين اليأس والرجاء، والأمل والفرح، والخشية والتوقع، فسبحان الله العظيم حيث يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنَبُ ﴿١٦﴾ إِنْ ظَنَنْتُ أَنْ مَلَأْتِ حَسَابِيَةَ ﴿١٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٨﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَابِيَةٌ ﴿١٩﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْنَ لِرَبِّ أُوثِقَ كِتَابِيَةَ ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَدْرَاكَ مَا حَسَابِيَةَ ﴿٢٢﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٣﴾ مَا أَخْفَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٤﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢٥﴾﴾ (٦٢). فأنت تلاحظ الفواصل: كتابيه، حسابه، ماله، سلطانيه، قد زيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة والتي اقتضى السياق نطقها هاء للتوافق.

٥٧- سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

٥٨- سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

٥٩- سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

٦٠- انظر: الزركشي، البرهان: ١/ ٦١.

٦١- سورة القارعة، الآية: ١٠- ١١.

٦٢- سورة الحاقة، الآية: ١٨ - ٢٩.

وما زلنا عند الهاء، فتطلع إليها، وهي ضمير ملصق بالفواصل، غير زائد بل أصلي الورد، وقد حقق بذلك وقعه في النفس، وجرسه في الأذن، وقوته في امتلاك المشاعر، قال تعالى: ﴿يُصْرُؤُهُمْ بِوَدِّ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَجِيئِهِ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيَّبُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (٦٣). فلا زيادة في هذه الهاء، وهي ضمير في الفواصل كلها، وقد حققت صوتياً مناخ الانتباه، ورصد مواضع الإصغاء من النفس الإنسانية.

الثالثة: التقديم والتأخير: وهو يحدث كثيراً في الفواصل القرآنية، وله فوائد الخاصة وإيقاعه المؤثر، وهو في كلامنا عملية فنية معقدة تحتاج إلى خبرة عليا بفن القول، وترتبط بالمستويات العليا للغة، ويقول فيه العلامة عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية..." (٦٤) ويدرسه المحدثون في نظرية النحو التحويلي تحت مصطلح "Permutation" والتقديم والتأخير عند العرب مرتبطان بفن القول، أي بالكلام ذي الطبيعة الفنية كالشعر والنثر الفني في ألوانه المتعددة، والضابط للتقديم والتأخير عندهم هو الإعراب الذي يحفظ لكل لفظ موقعه في بناء الجملة سواء ورد مقدماً أم مؤخراً، وفي جملة "ضرب عبد الله زيدا" يقول سيبويه: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله، لأنك إنما أردت به مقدماً ما أردت به مؤخراً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون مقدماً، وهو عربي جيد كثير، كأنهم يقدمون الذي بيانه لهم أهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهاتهما ويعيناهم" (٦٥).

ونستطيع أن نضيف مطمئنين إلى هذه الأهمية التي صارت من بعد مبرراً لكل تقديم وتأخير، نضيف إليها الاهتمام ببناء الجملة من حيث الإيقاع الذي يحدثه التقديم والتأخير أيضاً، كما تفصله دراستنا هذه.

ومن صورته في الفواصل تقديم المفعول على الفاعل مثل ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (٦٦) وذلك لأن فواصل السورة كلها رائية فيتحقق الإيقاع الجميل بذلك، ومنه تقديم المفعول للاختصاص مثل ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٦٧) فقد حقق تقديم المفعول (أنفس) غرضين، الأول: إيقاعي وهو

٦٣- سورة المعارج، الآية: ١١-١٤.

٦٤- انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، طبعة مكتبة القاهرة، ص ١٨٥.

٦٥- انظر: كتاب سيبويه، ١/ ٣٤.

٦٦- سورة القمر، الآية: ٤١.

٦٧- سورة البقرة، الآية: ٥٧.

إجراء الفاصلة بالنون لتتوافق إيقاعياً مع غيرها، والثاني: بلاغي وهو اختصاصهم بظلم أنفسهم. وقد أحصيت مواضع التقديم والتأخير في الفواصل فكانت في حوالي ٩٩٠ موضعاً أي بنسبة ١٥,٨٤ في المائة من مجموع الفواصل.

إذن تتمثل في تأخير ما حقه التقديم، وتقديم ما حقه التأخير، زيادة في العناية بتركيب السياق، وتناسق الألفاظ، وترتيب الفواصل، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (٦٨)، حيث قدم الضمير العائد على "موسى" وهو فاعل فتأخر الفاعل وحقه التقديم، وذلك لرعاية الإيقاع في الفاصلة، وعليه يحمل تقديم هارون على موسى في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالَ أَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٦٩)، فإن هارون وزير لموسى، وأهمية موسى سابقة له، وقدم هارون عليه رعاية لفواصل آيات السورة، إذ انتظمت على الألف والألف المقصورة في أغلبها، والله يعلم.

وسيأتي مفصلاً في البحث القادم عند الكلام عن الملاحظ الصرفية والنحوية في الفواصل القرآنية، إن شاء الله.

الرابعة: أشار الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) إلى أنه قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب (٧٠).

وحكى سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) عن العرب أنهم إذا ما ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء، ما ينون، وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت (٧١)، وورود النون بعد حروف المد متواكبة في القرآن حتى عاد ذلك سرّاً صوتياً متجلياً في جزء كبير من فواصل آيات سوره، ونشير على سبيل النموذج الصوتي لكل حرف من حروف المدّ تليه النون بمثال واحد.

١- وردت الألف مقترنة بالنون في منحنى كبير من فواصل سورة الرحمن على نحوين:

الأول: وورودها متقاطرين، وهما (أي الألف والنون) من أصل الكلمات كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٣﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٧٢﴾.

٦٨- سورة طه، الآية: ٦٧.

٦٩- سورة طه، الآية: ٧٠.

٧٠- انظر: الزركشي، البرهان: ٦٨/١.

٧١- انظر: الكتاب لسبويه: ٢٩٨/٢.

٧٢- سورة الرحمن، الآيات: ١-٥.

الثاني: ورودهما متقاطرين، وهما (أي الألف والنون) ملحقان بالكلمة علامة للرفع ودلالة على التثنية كما في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٧٣﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٧٤﴾ فَيَأْتِي ءآلَاءَهُنَّ رِيكًا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾. ويتحقق في النحوين مد الصوت تحقيقاً للترنم.

٢- وردت الياء مقترنة بالنون في أبعاد كثيرة من فواصل الآيات القرآنية، ففيما اقتصر الله من خبر نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَبْرُكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٧٥﴾ قُرْآنًا مِّنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخِرِينَ ﴿٧٦﴾﴾. والطريف أن سورة المؤمنون تتعاقب فواصلها الياء والنون أو الواو والنون، شأنها في ذلك شأن جملة من سور القرآن، فكأنها جميعاً تعنى بهذا الملحظ الدقيق.

٣- وردت الواو مقترنة بالنون في أجزاء عديدة ومتنوعة من فواصل طائفة كبيرة من السور، فسورة الشعراء فيها تعاقب كبير على الياء والنون مضافاً إليه التعاقب على الواو والنون، موضع الشاهد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٧٥﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٧٦﴾﴾. إن ما أبداه الزركشي من ختم كلمة مقطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، ليس بالضرورة للتمكن من التطريب، ولكنه يشكل ظاهرة بارزة في صيغ تعامل القرآن الكريم مع هذه الحروف مقترنة بالنون، وقد يخفى علينا السبب، ويغيب عنا جوهر المراد، ومع ذلك فهو ملحظ متحقق الوجود.

هذا، وأرجو في الختام أن يتقبل الله مني هذا العمل المتواضع الذي أنوي من ورائه خدمة لكتاب الله العزيز، وأن يلقى بحثي هذا رحابة صدر لدى قارئه. آمين.

Rhymed Pauses in the Qur'an: A Phonetical Enquiry

Among the inimitable traits of the Qur'an are its rhymed endings of verses. These endings augment the effects of its communication. These also intensify the recitor's interest and involvement with the Qur'an. The Muslim scholars have gone to great depths in their analysis of the Qur'anic text

٧٣- سورة الرحمن، الآيات: ١٩-٢١.

٧٤- سورة المؤمنون، الآيات: ٢٨-٣١.

٧٥- سورة الشعراء، الآيات: ٥٤-٥٧.

starting from sounds, phonemes, syllables, words, phrases, sentences to verses and beyond. They found in the rhymed endings of its phrases and sentences a prominent expression of the Qur'ān's phonetical and musical richness reaching the level of perfection. The scholars writing on the miraculous elements in the language of the Qur'ān have shown the contributive role of these rhymed pauses (*fawāṣil*) in the over-all symmetry of the Qur'ānic composition. It is this symmetry running through the whole text which forms the basis of Qur'ān's inimitable character. Nearly all the significant scholars from al-Rummānī, al-Zimakhsherī, Ibn Abī al-Aṣba' and others in the classical era down to the contemporary writers on the topic of inimitability have treated this stylistic category at length in great depth. Each of them has explained its aesthetic as well as symantic dimensions in great detail showing its significant status in the harmonious and symmetrical composition of the Qur'ān. A number of scholars have also exclusively treated this stylistic category and its various forms.

This paper is particularly concerned with highlighting the phonetic aspects of the rhymed endings and their integrative link with the overall intonational scheme of the verses/chapters in which these have been placed.
